

# صَلَاةُ الْمَاءِ

قصته بقلم د. زكريا الأمير

ومرت ايم الطفولة بهناء هنيئة سعيدة . كانت مدله مرفهة في البيت وكذلك في المدرسة . وحين كانت امها تمنع عنها اي مطلب تجده عند عمته وهكذا لم تحس اي معنى من معاني الحرمان . وكانت تحسب ان كل الاسر تتكون من اب وام وعمه واخوان . وحين سألت بعض صديقاتها في المدرسة عن عماتهن اجاب البعض ان لعماتهن بيوتا خاصة وللبعض منهن اولادا . . .

واستغربت هاء معنى ان يكون هناك اولاد عمه . وجاءت الى عمته تسالها :

- اين اولادك يا عمتي ؟

فابتسمت العمه وقالت :

- انت واخوتك اولادي

- ولكننا اولاد امي وابي !

- هذا ايضا صحيح

وذهبت هاء الى امها تطلب منها توضيح ما التبس في ذهنها فابنتها امها على سؤالها وحذرتها من توجيه مثل هذه الاسئلة لعمتها . وخنمت حديثها بقولها :

- عمتمكم تحبكم كاولادها

وحين سألت هاء : ولكن لم ليس لعمتي اولاد حقيقيون ؟!

كان جواب الام : لان الله لم يرد هذا .

وفي يوم دخلت هاء غرفة عمته فرأتها تبكي ولما سألتها عن سبب بكائها نفت العمه ان تكون تلك دموع بكاء وادعت ان شائبة دخلت عينها فادمعتها . اقتنمت هاء بقولها ولكنها عادت فشكت في صحة كلامها حين راجعت مع نفسها منظر عمته والدموع تهبط من عينيها الاثنتين فالشائبة تدخل عينا واحدة عادة . عادت الى عمته تسالها :

- هل انت سعيدة يا عمتي ؟؟

اجابتها : - سعيدة جدا يا عزيزتي ..

ولكنها احست بنبرة عدم صدق في صوت عمته فهرعت الى امها تسالها : - هل كل الناس سعداء يا امي ؟

وكان رد الام : نعم اذا قموا بما اعطاهم الله .

وحين حل موعد صلاة المائنة واغض الكل عيونهم يصلون ، فتحت هاء عينيها واسترقت النظر الى عمته فرأتها غير مغمضة العينين . وكانها لا تصفي للصلاة .

ومنذ ذلك اليوم بدأت هاء تتجسس ببراءة على عمته واكتشفت انها لا تصلي كما تفعل امها ولا تردد آيات من الكتب المقدسة فسألها يوما :

- هل تحبين الله يا عمتي ؟

اجابت : - طبعاً اجه . لم هذا السؤال ؟

سكنت هاء وان كانت تشك كثيرا في صحة كلام عمته وذهبت الى امها تسالها ان كان كل الناس يحبون الله : فاجابت الام : « يجب ان يحبه الجميع » .

ولم تر هاء في جواب امها ردا على سؤالها .

وزاد هذا التجسس تقرب هاء من عمته فاصبحت ملازمة لها

نشأت هاء في بيت قال الكل عنه انه بيت سعيد . كان الجميع يحس بالسعادة التي تخيم على افراد الاسرة ، فالوالد ذو مكانه محترمة وشخصيته محبوبة وميسور الحال . اما الام فقد كانت في الحق هي السبب في اشاعة السعادة داخل البيت واذاعة اخبارها بين الناس . فهي من النوع المؤمن المتهد على الله في كل شيء . وكان الله عند حسن ظنها ، فهو لم يخيب لها مطلباً ، هي جميلة خفيفة الظل محبوبة ، نشأت في بيت منحها كل اسباب السعادة وحين انتقلت الى بيت زوجها لم ينقص من سماتها شيء وزاد عليها ان منحها الله اربعة اطفال ، ثلاثة بنين وبنات واحدة ، وكان هو بالضبط العدد الذي طلبته والتوعية التي عينتها . وفي صباحها كانت تعين الصفات التي تريدها في زوج المستقبل فارسل لها الله زوجا فيه كل ما طلبت من الصفات .

وكانت هاء صغرى اخوتها ، تماما كما طلبت الام ، اخذت عن امها جمال الوجه والقوام وعن ابيها ذكاه الشديد .

وفي البيت السعيد ذاك عاشت عمه هاء . وكانت مثل أخيها ذكية وذات شخصية لطيفة محبوبة . احبت في صباحها المبكر ابن عمها وبعد مرور ثلاث سنوات على اعلان خطبتهما تبين لها ان خطيبها لا يحبها ، وما خطبها الا بناء على رغبة ابيه . وعز عليها ان لا يكون مرغوبا فيها لشخصها فسخت الخطبة وانتظرت من يجيء اليها اعجابا بها ، وتأخر في اول الامر مجيء ذاك المعجب . . . ثم . . . لم يات قط .

وبالرغم من الظروف غير الرضية التي مرت عليها العمه فقد كان مظهرها يوحى بالسعادة والرضا . فهي تحب الجميع وخاصة اولاد أخيها وتعاملهم كأنهم اولادها وكانت الام تخشى ان يفسد تدليل العمه الاولاد ثم تستدرك بان الله سيلهم عمتهم كيف تتصرف واين تقف في دلالهم . ولم يسمع عن العمه انها شكت من امر او تدمرت من المساهمة في ادارة شؤون البيت ، وكانت الام تترك لها قسطا كبيرا من هذه الامور على اعتبار ان المشاركة فيها يشعرها ان البيت بينها والاولاد اولادها ولا يترك لها فراغا كبيرا تفكر فيه بما ينقص حياتها . وكانت الام كلما فكرت في هذا شكرت الله اذ وجد حلا لمشكلة العمه تنسيها فشلها في الحياة .

وعاش ساكنو البيت في وفاق تام ولم يستطع احد ان يكتشف ان كان سبب الوفاق هو تقوى زوجة الاخ ام حلم اخت الزوج .

وفي هذا البيت نشأت هاء وتتذكر اول ما تتذكر من مفروشات البيت قطعة معلقة على الحائط طرقتها امها مكتوب عليها « الله محبه » وضمت هذه العبارة داخل عدد من اكايل الزهور والحمام الابيض والملائكة المرفوفة باجنحتها . وكانت تسمع امها تردد دائما آيات من الكتب المقدسة تدور كلها حول محبة الله لابنائه وعن رحمته ومفترسه للخطاة النائين . وكان هذا الكلام يتلاد تماما وشخصية الام . وتحدث الناس عن تقى وورع الام الشابة التي لم تترك مناسبة للصلاة الا وقامت بها ولم يمر عليها موسم من مواسم توزيع الصدقات الا وادته بسخاء . وكلما ذكرت سعادة الام اقترن الحديث بتقواها وتدينها ولا تذكر هاء ان امها طلبت شيئا من الله واستجاب طلبها حالا . كانها هناك من يسجل طلباتها لينقلها له راسا .

والها كثيرا ان تسمع المزين ينسبون لوالديها سبب الصفاء الذي عاشته الاسرة مع العمة . وسمعت يوما واحدة من المزيات تقول لامها :  
- لقد عاشت الرحومة حياة سعيدة معكم . استمتعت بوجود بيت واولاد لها دون ان تتعب في تحمل مسؤولية البيت وولادة الاطفال وتربيتهم .

صرخت هناك في وجهها : - انتم منافقون ... كلكم منافقون حين تدرون ان عمتي عاشت حياة غير سعيدة تعبت فيها بتربيتنا دون ان يكون لها الحق في ان تكون اولادها وتحملت مسؤولية البيت دون ان يكون بيتها . تعرفون كل هذا وتزعمون العكس ارضاء للاحياء .

ومنذ ذلك اليوم احسنت هناك بواجب كبير عليها نحو عمتها . يجب ان تعمل شيئا يريحها لو كانت لا تزال موجودة ... ولكنها لم تدر ما يجب عمله . انخاطبها لتقول لها انك امي الحقيقية وانا ابنتك ؟ ولكن اتي لها ان توصل هذا الصوت اليها ؟؟ وعادت تجلس ساعات في غرفة العمة كأنما تصغي لحاديثها وتبتسم بين فترة واخرى كأنها تؤيد صحة ما تسمع ...

وجاء مساء وجلست الاسرة حول المائدة وبدأت بالصلاة . وشردت هناك بأفكارها الى يوم فتحت فيه عينها تسترق النظر الى عمتها فرأته غير مصفية للصلاة . ليتها فهمت يومذاك ما تفهمه الان .. كيف تعرف عمتها ما تحسه الان ؟؟ كيف تخبرها انها مثالة لتصرفاتها وخجلة من نفسها وانها الان مع كونها قد ذهبت بعيدا فهي اقرب اليها من الاحياء القريبين ؟ كيف ؟ .. وسمع افراد الاسرة هناك نجيش بالبكاء وهي تقول :  
- لن اصلي معكم بعد الان .. ولن اصلي قبل النوم .. ولن اذهب معكم غدا للصلاة .. لن اصلي لله .. لن اصلي له ، وفاء لعمتي :  
لانه لم يزر غرفتها ابدا .

ديزي الامير

## شعر

### من منشورات دار الاداب

قزارة الموجة	نازك الملائكة
وجدتها	فدوى طوقان
وحدي مع الايام	فدوى طوقان
اعطنا حبا	فدوى طوقان
عينك مهرجان	شفيق معلوف
قصائد عربية	سليمان العيسى
الناس في بلادي	صلاح عبد الصبور
مدينة بلا قلب	احمد عبد المعطي حجازي
ايات رقيقة	عبد الباسط الصوفي
رسائل مؤرقة	سليمان العيسى

دار الاداب

بيروت - ص.ب. ٤١٢٢

كظلمها ، وامانا في التجسس نقلت فراشها الى غرفة العمة . واحسنت العمة هذا التقرب فدللتها اكثر من اخوتها مع انها لم تقصر يوما في اظهار حبها الشديد للاخريين . وهكذا اصبحت هناك المفضلة عند عمتها . وبدأت العمة تضي الساعات تحادث هناك عن ذكريات صباها وطفولتها كأنما تستسرها وفرحت هناك لهذا الاستخلاص . وحين كانت تجلس بجوار امها كانت هذه تروي لها قصصا عن اطفال لقوا حياة رغدة هنيئة لانهم احبوا الله وكانوا صادقين وكانوا يهتمون بالاخريين . ارادت ان تخبر امها ان عمتها لا تروي لها قصصا كهذه ولكنها لم تفعل اذ تذكرت انها محط ثقة العمة وعيب عليها ان تخون هذه الثقة . وفي نفس الليلة عندما دخلت فراشها تنام سألت عمتها : -

- لم لا تروين لي قصصا عن الله يا عمتي ؟

- اكنفي بما ترويه لك امك

- وما يمنعك انت ايضا من رواية هذه القصص ؟

- لان امك تعرف الله اكثر مما اعرفه انا

واسترخت هناك في فراشها ثم ففرت فجأة لتسأل :

- ولكن اين تعرفت امي على الله يا عمتي ؟؟

- هنا في هذا البيت ولكن ليس في هذه الغرفة

- لم لا ياتي الله الى هذه الغرفة ؟ اتراه لا يريد ان يراني ؟

- لا يا عزيزتي .. انا ارجو من الصميم ان يراك ويتعرف اليك جيدا . انه لا يريد ان يراني انا لقد قرر هذا منذ زمن بعيد .

ونامت هناك قبل ان تجد وقتا تفكر فيه فيما قالت عمتها عن الله .

\*

وكبرت هناك ودخلت الجامعة وصار لها شؤونها ومشاغفها الخاصة التي انشغلت بها عن احاديث عمتها ونسيت قصة تجسسها واهتمامها السابق بها .

وابعدتها هذا عن عمتها فلم تعد تجد وقتا للاصغاء الى حديثها والى سرد ذكرياتها . وصارت كلما رأتها تريد مد حديث معها حاولت الاعتذار بانشغالها بالدروس . ويوم اخبرت عمتها انها صارت في حاجة الى غرفة مستقلة . اجابت العمة : - طبعاً طبعاً يا عزيزتي .. ولكن هناك احسنت بنبرة الم في صوتها انزعجت منها . ومرت الايام تقطع ما بين هناك وعمتها ولم تجد هناك وقتا تتحسس فيه هذا النبايد .

ثم استيقظ افراد الاسرة ذات صباح ليجدوا ان العمة تاخسرت على غير عاداتها في النوم وحين هرعوا الى غرفتها وجدوها تشكو الما في خاصرتها لازمت على اثره الفراش اسابيع وتوفيت في الاسبوع الخامس ...

وكثر الحديث عن العمة في الفترة التي اعقبت وفاتها وعرفت هناك منه مأساة حب وكبرياء عمتها . تألم الجميع للوفاة ولكن الم هنساء كان الاعمق ، انها تعرف عمتها اكثر مما يعرفها اي فرد من افراد الاسرة . وبدأت هناك تستعيد ذكرياتها مع عمتها .. يوم بدأت تتجسس عليها ، واسئلتها الساذجة ، واجوية العمة العميقة . وحاولت ان تذكر نص الاجوبة حين كانت تسالها عن الله وعن السعادة وعن اولادها غير الموجودين .

وتذكرت قول امها « الكل سمداء اذا قنعوا بما منحهم الله » هل لامها فضل اذا ففنت بما اعطاها الله ؟؟ وفهمت الان معنى قول عمتها « ان الله لا يريد ان يراني » . وادركت هناك مقدار الالم الذي كانت نعيشه عمتها واحسنت بضميرها يؤنبها . انها لم تعمل على اسعاد عمتها ابدا . كانت تطمرها بالاسئلة المؤلة فقط . وما كان تقربها منها الا رغبة في التجسس عليها .

وكذلك كان حين انتقلت بفراشها الى غرفتها . هي لم تحاول ان تقدم لها هدية في يوم . ولم تفكر في اخذها معها الى احد اماكن اللهو الكثيرة التي تذهب اليها . بل انها لم تمنن بها عناية كافية فترة مرضها .